ألمانيا والاتحاد الأوربي

يتصادف الإحتفال بذكري إعادة توحيد ألمانيا بافتتاح معرض فرانكفورت للكتاب الذي دعي إليه العرب كضيف شرف . ولعل هذه المصادفة تعكس مدي العلاقات الودية بين ألمانيا والدول العربية وخاصة في مصر ، فبالإضافة إلي المدارس الألمانية والنشاط الواسع لمعهد جوته بدأت الجامعة الألمانية نشاطها . هذا بالإضافة إلي ما تتقدم به المؤسسات الألمانية الأربعة من مساعدات في نواحي مختلفة .

وتنعكس هذه العلاقات أيضاً في وجود إذاعة عربية في الإذاعة الألمانية " دويتش فيلا " رأسها في وقت ما المرحوم سعيد أبو السعد الإذاعي المصري المعروف ، كما تنشر ألمانيا مجلة " فكر وفن " باللغة العربية التي يكتب فيها عدد من المفكرين العرب كما أن مجلة " دويتشلاند " تصدر الآن باللغة العربية . وتعد غرفة التجارة الألمانية المصرية من أنشط المؤسسات في الإطار التجاري ، والمعهد الألماني للآثار لا يكف عن استقبال علماء الآثار الألمان والقيام بحفريات عديدة .

وسيذهب عدد كبير من الكتاب والمفكرين العرب إلي ألمانيا للمشاركة في معرض فرانكفورت ، فكيف سيجدون هذا البلد الصديق ، بعد خمسة عشر عاماً من الوحدة . أول ما يلفت النظر هو الدور القيادي لألمانيا في الإتحاد الأوربي ومن المعروف أن ألمانيا كانت إحدي الدول الستة التي أنشأت " عام ١٩٧٥ " السوق الأوربية المشتركة ، ذلك السوق الذي نمي وتطور تدريجياً حتي أخذ الآن شكل إتحاد يجمع ٢٥ دولة . وتعد ألمانيا أكثر مساهمة مالية في ميزانية الاتحاد التي تبلغ ١٢٢ مليار دولار .

وتشترك ألمانيا مع فرنسا في قيادة مجموعة دول أوروبا الغربية التي تنظر إلي الاتحاد علي أنه وسيلة حقيقية لإعطاء أوروبا دورها القيادي الذي تستحقه . ولتحقيق هذا فإن هذه الدول علي استعداد للتضحية ببعض مزاياها الوطنية في سبيل تقوية الاتحاد . وهذا الموقف المستقبلي لألمانيا يختلف تماماً من

موقف دول شرقي أوروبا التي قبلت أخيراً في الاتحاد ، فهي تنظر إلي الاتحاد علي أنه وسيلة لتقديم المساعدات لها وللاستثمارات مما أثار معارضة بين الدول الغربية وخاصة ألمانيا التي تحتفظ بضرائب مرتفعة . وبرغم ذلك الاختلاف في المواقف فإن ما يزيد علي ٢٦ مليار يورو صرف علي دول شرقي أوروبا ،حقيقة أن ألمانيا تواجه بعض الصعوبات الاقتصادية مما دعي المستشار شرودر إلي خلق برنامج جديد للإصلاح الاقتصادي والذي يرمي إلي البدء فيه في يناير ٢٠٠٥ . وقد أدي هذا البرنامج إلي ظهور نقد كبير لشرودر وقيام مظاهرات وخاصة في الجزء الشرقي من ألمانيا ، كانت نتيجته أن يلقي حزب شرودر الديمقراطي الاجتماعي بعض الهزائم في الانتخابات المحلية الأخيرة .

وبرغم المظاهرات ونتائج الانتخابات فإن شرودر صمم علي تنفيذ البرنامج وفي الكلمة التي ألقاها في البرلمان الألماني أخيراً دافع عن برنامجه وأكد أن الغرض من تلك الإجراءات هو تخفيض نسبة البطالة التي بلغت ٩,٥% في الغرب ، و ٢٠% في الشرق . وينص البرنامج علي تخفيض المعونات الاجتماعليه ، وتخفيض مدة تلقي العاطلين معونة البطالة السخية التي كانت تدفع البعض إلي عدم البحث عن عمل ما داموا يحصلون عليها . ويؤكد المستشار الألماني أن هذه الإصلاحات ستؤدي إلي زيادة فرص العمل وتشجع الاستثمارات .

وليس هناك من ينكر أن من أسباب صعوبات ألمانيا الاقتصادية المساعدات الضخمة التي قدمتها ألمانية الاتحادية للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في ألمانيا الشرقية . وقد بلغت تلك المساعدات منذ بدء إعادة التوحيد حتي الآن ١٦٠ مليار دولار جاءت من دافعي الضرائب في الغرب الذين بدأوا يتذمرون لدرجة أن قياس رأي عام حديث أثبت أن خمس سكان ألمانيا يريدون عودة حائط برلين وأن ١٢% منهم من ألمانيا الشرقية .

ومما لا شك فيه أن هناك أزمات بين شرقي ألمانيا وغربها حول توجيهات برنامج شرودر للإصلاح الاقتصادي . ويقول أحد المسئولين في حزب الديمقراطيه الاشتراكية المكون من شيوعيين سابقين : أن فرص العمل في الجزء الشرقي من ألمانيا أقل كثيراً من الجزء الغربي مما دعي الكثير من الشباب إلي اللجوء إلي الغرب بحثاً عن عمل ويوجه المسئول النقد إلي شركة تروبهاند المسئولة عن خصخصة الصناعات في الشرق منذ بدء الوحدة . وقد قامت هذه الشركة منذ ذلك الوقت في إعادة بناء اقتصاديات المنطقة ، فأغلقت بعض المصانع وباعت البعض الآخر إلي شركات غربية وقد أدي هذا إلي زيادة البطالة .

وبرغم هذه المشاكل فإن الجزء الشرقي من ألمانيا ، كما يقوم أحد الصحفيين الإنجليز في جريدة الاندبيندنت اللندية ، أنه من الواضح أن ألمانيا الشرقية بعد التوحيد أصبحت الأحسن حالاً من نظيراتها من دول شرقي أوروبا وأن هناك العديد من مدن الشرق تعكس ازهار واضحاً ونشاطات عامة ويضيف " أنه من المثير حقاً أن نري التحول الكبير الذي حدث في ألمانيا الشرقية " .

تحريرا في ٢/١٠/٢٠٠٤